يعدو كونه اسطورة . وعوضا عن **الدولة الاشتراكيـــة** ، اقاموا دولة ثيوقراطية او بالاحرى انشأوا **ثيوقراطية بدون اله** ، بمعنى انهم حرصوا علـــى تغذية فكرة **الجوهر اليهودي** الموجودة ضمنا في شعار « الشعب المختار » .

اما الفلسطينيون الذين طردوا من ارض هم سكانها منذ اجيال ، فقد تصرفوا في كل شيء بعكس الاسرائيليين تماما ، لاضطرارهم لذلك في بادىء الامر : فكلما تقدم الاسرائيليون، غاص الفلسطينيون في العالم العربي ، وكلما كسبت اسرائيل ارضا ، وجد الفلسطينيون انفسهم في الخيالي . وكلما تقوقعت اسرائيل ضمن دولة بورجوازية رأسمالية ، أراد الفلسطينيون انفسهم واكتشفوا انفسهم ثوريين . كلما تلقت اسرائيل المال من جاليات «الشتات» اليهودي كي ترسخ اقدامها في اراض احتلتها ، استخدم الفلسطينيون الهبات العربية لانماء الفكر والنضال الثوريين . لذلك يبدو لي من الخطأ ، كما ورد في بعض الكتابات الفرنسية ، مطابقة تصرف الفلسطينيين ومصيرهم مع تصرف اليهود ومصيرهم، باستثناء نقطة واحدة : ارادة العيش كشعب مميز . اما التباعد فقائم منذ البداية ، بفعل الواقع نفسه .

امرأة من الشعب

من المستحيل الا يرافق الثورة الفلسطينية تحرر المرأة الفلسطينية . ولنطرح جانبا النساء البرجوازيات ، أو اللواتي يضعن انفسهن في خدمة الثورة عند تخرجهـــن من الجامعات ـــ غربية كانت أم لا ـــ . انني أتكلم عن امرأة عامة الشعب : فهي ، حتى في موقعها الحالي العنصر الاكثر ديناميكية والاكثر نورية - ويخيل لي ان هذه الحرية التي تتمتع بها ـــ حرية ما قبل التحرر ـــ لا تعود الى ١٩٧٠ او ١٩٦٧ أو ١٩٤٩ بل تنحدر الى زمن أبعد بكثير من ذلك .

ويمكنني القول على نمط ما قاله روسو : ان المرأة الفلسطينية ولدت حرة ، وحالهـــا أفضل من حال سواها على ما يبدو لي ، وهي مستعدة لتقبل اية افكار ثورية ، رغم كونها في الوقت نفسه وبحكم موقعها وطبيعتها ، عنصرا محافظا . والمرأة بشكل عام ـــ لا المرأة الانثوية والمتصنعة كما أرادها الرجال واصبحته ـــ بل المرأة التي تؤمن في قرارة نفسها انها متساوية مع الرجل ـــ بمعنى انها ليست **أمه** أو **اخته** أو **عشيقته** بل رفيقته ، هذه المرأة عليها ان تشارك في النضال ضد النظام لانها ـــ مع الطفل ـــ الكائن الاكثر تعرضا للاستبداد . ولا أعني أبدا نضالا مسلحا بالاظافـــر أو بعض الفورات العصبية ضد الرجال ، بل تعبيرا مستمرا عن حريتها وعن تحررها . وان لم تكن كل النساء الفلسطينيات أم حسن ، فكلهن يشبهنها في مضمار مهم : الا وهو تقبل متطلبات النضال . عندما قدمني حسن لامه ، كنا في شهر رمضان . وحينما أعلمتها انني لست مسلما وانني لا أؤمن حتى بالله ، نظرت الي دون تعجب أو استهزاء . كانت ارملة ناهزت الخمسين ، وكان الوقت قارب الظهر .

ـــ « ان كان لا يؤمن بالله ، عليّ اذا ان أعد له الطعام » .

وأعدت لنا الطعام . فكوني ملحدا خلال شهر رمضان قادها للاجابة الصحيحة : طعام الغذاء . اما هي ، فلن تأكل الا بعد السادسة مساء .

عند الغروب ، ساعدت العائلة مجتمعة في تعبئة الرصاص في الامشاط . واعني العائلة: الام ، حسن ، اخته وزوج اخته . كان الجيش الاردني يطلق النار على مخيم اربد من مستشفى تمركز فيه . وما ان هبط الظلام ، حتى التحق حسن بمركزه داخل المدينة ، فبقيت وحيدا في غرفته مع ثلاثة رشيشات كلاشنكوف مطروحة قرب مدخل الملجأ الذي كان يحتوي بدوره على عدد من قطع السلاح . كان اطلاق النار ما زال مستمرا عند الساعة العاشرة ، ولم أستطع النوم . ولكنني تظاهرت بالنوم عندما قرع الباب ، فلم